الفكر الإسلامي

مبادئه. مناهجه. قيمه. أخلاقياته

تأليف

الدكتور محمد الصادق عفيفي

أستاذ بجامعة البترول والمعادن

بالمملكة العربية السعودية

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على مصباح الهداية ، وعلم العدالة ، ورسول السلام ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فان لى جملة من الأبحاث والمؤلفات ذات الطابع الدينى ، تناولت (الإسلام والنظم التربوية) و (الإسلام والنظم المالية والاقتصادية) و(الإسلام والعلاقات الدولية) و(الإسلام والنظام القضائى) و(الإسلام والنظام الحربى) و(الإسلام والنظم الإدارية) و (الإسلام ونظم الحكم) و(معالم الحضارة الإسلامية) و(التربية الدينية) .. إلا أن موضوع هذا الكتاب ساقتنى اليه هذه المشاهدة والمتابعة (للمؤتمر الإسلامى) الذى انعقد بلندن فى الثالث من أبريل ١٩٧٦ ، لمدة عشرة أيام ، وكان افتتاح هذا المؤتمر فى نفس الوقت الذى انعقد فيه (مهرجان العالم الإسلامى) الذى امتد ثلاثة شهور كاملة (ابريل — مايو يونية) ، وللأسف لم ينعقد تحت اسم(مهرجان العالم الإسلامى — Festival of The Islamic world) حتى ينبىء عن شىء عالمى تتسع أبعاده الزمانية والمكانية ، وإذا كانوا قد قيدوه بهذه العبارة القاصرة (The World of Islam Festival) التى يمكن ترجمتها بـ (دنيا الإسلام) حتى يفهم القارىء غير العربى على حد تعبير الكاتب محمد قطب : (إن المهرجان يعرض للناس دنيا الإسلام ، ويدل على صغر حجم

ذلك الجزء المحدود ، حتى كأنه شاذ عن القاعدة العريضة من التدين بدين المسيحية)[1].

لقد أم المؤتمر بالذات جمهرة كبيرة من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وكبار الشخصيات الإسلامية ، ولا أغالى إذا قلت : إن جميع الأشخاص الذين حضروا إلى الندوات والمحاضرات من غير العرب ، كان يعنيهم شىء واحد — بطبيعة مستواهم العقلى والفكرى ، لأنهم من أوساط الناس ، كان يعنيهم الإجابة فى شىء من البساطة على سؤال واحد قد تلجلج فى صدورهم ، ألا وهو (ما الإسلام ؟) .

كانت نفوسهم تتطلع وتشرئب إلى هذا التعريف : الشامل فى حدوده ، البسيط فى مفهومه ، كانوا يتطلعون إلى هذه الشخصيات الإسلامية اللامعة بشوق وتلهف كى تعرفهم بماهية الإسلام ، ورغبة الناس — حتى كبار المثقفين والمتعلمين — إلى معرفة الإسلام معرفة شاملة ، تلح عليهم من وقت لآخر ، فمنهم « من يتطلع إلى معرفته بدافع التشوق إلى المعرفة ، ومنهم بحافز اختيار مذهب له فى الحياة ، ولاسيما وقد كثرت المذاهب ، فاضطربت النفوس الشابة ، ولم تعد تدرى أين تتجه ، ومنهم من يريد تحكيمه فى سلوكه وتطبيقه فى حياته ، وهؤلاء جميعا سواء أكانوا من أبنائه أم من غير أبنائه ، ومن المؤمنين به دينا إلهيا أم من غير المؤمنين به .. ، يتطلعون إلى معرفة حقيقته. ، بل إن أبناءه أشد حاجة إلى معرفته .. لأن عندهم صورة ورثوها عنه تخالف حقيقته .. »[2].

ومع هذا التلهف والشوق إلى التعريف بالإسلام ، فان واحدا من

---

(١) انظر مقالا لمحمد بهاء قطب بعنوان (على هامش مهرجان عالم الإسلام) بمجلة البلاغ الكويتية ، العدد ٣٦٢ ، فى ٤ يوليو ١٩٧٦ ص ٥٤ .

(٢) انظر : نظام الإسلام (العقيدة والعبادة) لمحمد المبارك : ٨ بتصرف .

المتحدثين أوالمحاضرين لم يعرض لهذه الناحية ، إذا استثنيت كلمة الأمير محمد الفيصل التى دشن بها افتتاح المؤتمر ، فقد عرج فى إيجاز على حقيقة الإسلام ، حتى أنه عندما أنهى كلمته نادى أكثر من واحد ، بصوت شق أجواز قاعة ألبرت الشهير ، قائلا : (Not Yet, Please. Not Yet..).

بل إن هذه اللهفة الشديدة حول معرفة حقيقة الإسلام ، قد رددتها جميع أجهزة الإعلام كثيراً فى برامج الراديو ، والتليفزيون ، والصحافة ، وكانت تتطلع إلى أن تجد اجابة شافية تقنع النفوس والخواطر المسلمة وغير المسلمة ، ويعقب على هذا الكاتب محمد قطب بقوله : «كان الجواب : دائما ، إن كلمة الإسلام ذاتها فيها المعنى الكامل ، وهوأن يستسلم الإنسان ، ويسلم وجهه لله الواحد خالق الكون ، والمسيطر عليه ..»[1].

وكنت أحب أن يبتعدوا عن هذه الإجابة التقليدية ، ليقولوا شيئا جديداً، شيئاً فيه أيديولوجية الإسلام ، ومناهجه ، وعقائده ، وعبادته ، وقيمه ، وأخلاقياته .

أو ليشرحوا الكلمة بعيدة عن معناها اللغوى ، فهذا المعنى اللغوى يقال لنا معشر العرب الدارسين لمضامين اللغة العربية وبلاغتها ومقاصدها ، أما المسلم غير العربى الأصل ، فكان يحتاج مزيداً من الإيضاح ، وما أجمل إجابة الباحث الإسلامى أبى الأعلى المودودى ، والدكتور الفيلسوف فؤاد الأهوانى فى هذه السبيل :

أما إجابة الأول فقد وردت فى صدر كتابه (مبادىء الإسلام) حيث يقول: من المعلوم أن كل شىء فى هذا الكون ، منقاد لقاعدة معينة ، وقانون

---

(١) انظر : المقال السابق : ٥٤ .

خاص ، فالشمس والقمر والنجوم مسخرات تحت قاعدة مطردة ، لاقبل لها بالحراك عنها ، والخروج عليها ، ولوقيد شعرة ، والأرض تدور حول قطبها ، ولايدب فيها قدر لها من الزمن والحركة والطريق ، وبيب التغير والتبدل .

والماء والهواء والنور والحرارة .. كلها مذعنة لهذا القانون الخاص ، وللجمادات والنباتات والحيوانات ضوابط ، لاتنمو ولاتنقص ولاتحيا ولاتموت إلا بموجبها ، حتى أن الإنسان نفسه إذا تدبرت أمره ، تبين لك أنه خاضع لهذا القانون ، فلايتنفس ولايمس حاجته إلى الماء والغذاء والنور والحرارة إلا وفقاً لقانون الله المنظم لحياته ، ولهذا القانون نفسه ينقاد قلب الإنسان فى حركته ودمه فى دوراته ، وتنفيسه فى شهيقه وزفيره ، وله تستسلم جميع أعضاء جسده كالدماغ والمعدة والرئة والأعصاب والعضلات واليدين والرجلين واللسان والعينين والأنفس والأذن ، فليست الوظائف التى تؤديها هذه الأعضاء كلها إلا ما قدره الله لها ، وهى لاتقوم بها إلا بحسب ما تقرر لها من الأداء .

فهذا القانون الشامل ، الذى يخضع له ، ولايخرج عن طاعته شيء فى هذا الكون.. هومن وضع خالق مقتدر ، فاذا كان كل شيء فى السموات والأرض وما بينهما منقاداً لهذا القانون ، فان العالم كله بما فيه الإنسان مطيع لذلك الخالق العظيم ، ومن هنا جاءت كلمة الإسلام ، لتعنى أن الإسلام دين الكون طرا[1] ».

وأما إجابة الثانى فقد جاءت فى خاتمة كتابه (القيم فى الإسلام) ، قال : لقد قيل فى تعريف الإسلام من الوجهة اللغوية : إنه من الانقياد والاستسلام لأوامر الله ونواهيه ، ولكن هذا المعنى تطرف به كثير من المسلمين ، حتى خرجوا به عن معناه الأصيل وعن قيمته الحقيقية ، وظنوا أن الإسلام هو

---

(١) مبادىء الإسلام : ٤ — ٥ .

الاستسلام ، أى هذا السلوك السلبى الذى يهدد معنى الإنسانية ، وأصبح الإسلام فى نظرهم مجرد خضوع وذلة .

وقيل : ان الإسلام من السلامة ، والخلوص من الشوائب والنقص وهذه القيمة هى التى ذهب اليها الإمام الغزالى فى أثناء تعريفه لاسم الله من أنه (السلام) .

وقيل : ان الإسلام من السلام الذى هو ضد العدوان ، سلام بين العبد ونفسه ، وبين العبد وخالقه ، وبين العبد ومجتمعه ، وبين العبد وبين الناس .. وهذا المعنى الأخير هو القريب من المفاهيم العصرية — وإليه يدعو الدكتور الأهوانى[1].

فاذا أخذنا بوجهة نظر هذين الباحثين استطعنا أن نقدم تعريفا فريداً للإسلام فى ثوب عصرى ، وفى روح جديدة ، لأن ميزة الإسلام أنه مع الاحتفاظ بحقائقه وجوهره يساير الزمان والمكان .

وإذا كان الكون كله منقاداً لقدرة هذا الخالق العظيم ، وإذا كانت الدعوة إلى السلام ، ومن ورائها الإسلام : هما الأساس فى فهمنا لهذا المدلول ، فلاشك أننا سنغزو العالم من جديد ، وسننتصر باذن الله ، فاذا جاءنا مستفهم أو باحث عن الدين الحق ، وهو مسلم ، مسلم ، فهوآمن ، وينبغى أن نشرح له حقيقة الدين بروح الدين نفسه ، وبمثل هذا الأسلوب الذى جاء به جبريل عليه السلام ، وسلكه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء فى صورة رجل ، وجلس إلى النبى ، وهو بارز يوما للناس وسأله : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

---

(١) القيم فى الإسلام : ١٥٢ .

ثم قال : وما الإسلام : قال الإسلام أن تعبد الله، ولاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ..» ثم سأله عن الإحسان ، وعن الساعة ، ثم أدبر ، فقال عليه السلام : ردوه، فلم يروا شيئاً . فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» .

بمثل هذا الوضوح ، وبمثل هذه الثقة ، وبمثل هذا التعاون تنتشر راية الإسلام عالية خفاقة ، وومسئوليتنا نحن العرب فى التعريف بهذا الدين ، لا أراها الآن فرض كفاية ، بل أراها فرض عين ، لأنه يكون الجزء الضخم من تاريخنا ، وهو ينبوع حضارتنا التى عرفنا بها ، وهو يكون مع اللغة الجزء الأكبر من وحدتنا ، ولأنه كذلك المنطلق لأداء رسالتنا ، وانتشار ثقافتنا ولغتنا ، وهو الصلة بيننا وبين شعوب كثيرة من العالم ، يمكن أن يصبغ حضارتها الحديثة بمقاييسه ومعاييره ، لو أجدنا فهمه وحسن تطبيقه ، لأن الداء فى المسلمين، وليس فى الإسلام، وهو الذى يحول دون ذوباننا فى تيارات المذاهب الحديثة ، والقوى العالمية المتصارعة .

وقد عقب على ذلك الأستاذ محمد المبارك فقال : « إنك لوأردت أن تعرف مستفهما أومستعلما عن الإسلام يرغب فى أن يأخذ صورة كاملة عنه ، فى معالمه الأساسية ، وخطوطه الكبرى ، حتى يستطيع أن يوازن بينه وبين الأديان الأخرى ، والمذاهب الاجتماعية المستحدثة ، أوليؤكد ماهو عليه من عقيدة ورثها، لأعياك أن تجد كتابا موجزا جيداً يضم هذا الموضوع ويحافظ على جميع جوانب الإسلام ، ويراعى ما بينها من نسب، دون الدخول فى الخلافات المذهبية ، ولاإقحام الآراء الشخصية بدر الإمكان .

على غرار تلك الكتب التى تزخر بها مكتبات الغرب فى عرض كل دين

---

(١) انظر : صحيح البخارى : ٢-٢٠ .

أو مذهب فى كتاب كبير أوصغير ، يعطيك صورة تامة شاملة عن ذلك الدين أو المذهب .

بل لوطلبت إلى عدد من العلماء أن يقدموا لك هذه الصورة الكاملة الموجزة لحار بعضهم من أين يبدأ ، ومن أين ينتهى ، وماذا يأخذ ، وماذا يدع ، وما هى المعالم المهمة التى يجب ابرازها، والتفصيلات الثانوية التى لاضير فى إغفالها ، وربما قدم بعضهم جانب العقيدة واقتصر عليه ، أواهتم بالشعائر وقواعد السلوك ، أو عنى بالقيم والنزعات» (١).

(لقد انتشرت الأزمات (أى تقليعة الإزم — ism بالعشرات ، وأصبحت أزمات الجانب الاجتماعى والرأسمالى تنافس أزمات الجانب العقائدى ، وحل تقديس الأشخاص محل تقديس الدين .

نعم ، لقد صمد الإسلام بمقوماته التى أودعها الله فيه ، وضمن حفظه أمام هذه الهجمات البربرية ، وأمام هذه التحديات والمفتريات ، لأنه من عند الله « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون (٢).

لقد تحركت جميع القوى الظاهرة والباطنة ، فهذه تحركات المذاهب، وهذه تحركات الأديان لتجديد نفسها ، وتحديث أساليبها .

ومن ثم فان هناك ضرورة ، لأن نفهم الإسلام على حقيقته ، وأن نتناوله باعتباره وحدة متماسكة، ينظم العقيدة ، والعبادة والسلوك الأخلاقى والاجتماعى والتشريع الحضارى ، وأن نبتعد عن تلك المتاهات ، وتلك المصادمات التى جرى وراءها علماء الكلام والتوحيد ، حتى كفر بعضهم بعضا ، وتلك الشطحات التى جرى وراءها بعض المتصوفة .

---

(١) انظر : مقدمة نظام الإسلام : ١٣ .

(٢) انظر : حديثا عن المؤتمر الإسلامى ، بمجلة اقرأ السعودية ، العدد ٦٩ ، فى ١٥ يابرل ١٩٦٧ ص : ١٢ .

وأن نبتعد عن هذه القوالب الجامدة التى ورثناها عن عصور الانحطاط، تلك القوالب وذلك السلوك الذى صور الإسلام بصورة غير محمودة فى أذهان المسلمين والأجانب ، وهى صورة — ولاشك — تختلف كلية عن الجوهر الأصيل للإسلام الذى يشع طهارة ، ويفيض نقاء ، يقول ابن القيم: « لقد جعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقاً صميمة من طرق معرفة الحق ، والتنفيذ له ، وعطلوها بتقصيرهم فى معرفة الشريعة والواقع ، ولما رأى ولاة الأمور ذلك أحدثوا من الأوضاع شرا مستطيرا ، فتفاقم الأمر ، وتعذر استدراكه ، وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس واستنقاذها من المهالك » .

ويقول الدكتور محمد العربى : ان الأجيال التى أعقبت الصدر الأول من الإسلام .. غفلت عن واجبها فى استخراج القواعد التنفيذية ، والإجراءات العملية التى تكفل نفاذ الصورة الإسلامية الصحيحة ، وتكفل التوفيق بين هذه الأصول العامة، وبين احتياجات كل عصر ، ولم تلبث هذه الأصول الصحيحة لطول الترك .. ، ان لحقها التشويه فى المعنى ، والعبث فى التفسير » وقد أدى هذا التشويه إلى ضعف المجتمع الإسلامى : فكريا واقتصاديا وعسكريا ، وجعلنا مطية ذلولا للغير .

كما كان ذلك مدعاة إلى اساءة الظن به من طرف كثير من الأجانب ، ولاسيما الباحثين منهم ، بل ان نفور شبابنا من أبناء العصر الحديث ، وابتعادهم عن محيط الإسلام ، وجريهم وراء هذه المذاهب المستحدثة الخادعة التى ظنوا أنها تحل مشكلاتهم يرجع إلى شىء من ذلك .

إن أجدر الناس بحمل لواء الإسلام ، وأجهدهم بالبحث عنه وتبسيطه للناس فى صورة مشرقة وضاءة هم أبناؤه ، ولا أعنى هذا النمط لمفرغ فى

---

(١) انظر : النظم الإسلامية : ٣٣ ، وقارن بمقال لحسن البنا بعنوان (الله فى العقيدة الإسلامية) مجلة الشهاب ، أول صفر ١٣٦٧ ص ٣ .

الدراسات التقليدية ، وإنما أعنى هذا النمط الذى وعى روح الإسلام وحقيقته ، وتسلح بالمعارف الحديثة ، والثقافات الأجنبية ، وذلك حتى يستطيع أن يتصدى لرد الهجمات الخبيثة ، وأن يضطلع بتقديم الإسلام بالصورة الصحيحة ، ليعرف المواطنون من جانب ، وليعرف جيراننا الأجانب من جانب آخر ، حقيقة هذا الدين الكريم ، باعتباره : حياة ، وتاريخا ، وعلماً ، وعملا ، ومادة وروحا .

فالإنسانية اليوم ما أحوجها ، وهى غارقة فى الدماء والتمزق ، محتاجة إلى أن تعرف الإسلام والسلام والمحبة فى تفكيرها ، ونظم حياتها ، وطرائق سلوكها ومجتمعاتها ، فالإسلام كما يقول إميل درمنجم : « ليس عقيدة مادية تنطبق عليها المقاييس المادية ، وليس عقيدة روحية ، لاصلة لها بالمادة ، ولا بالحياة ، وإنما الإسلام عقيدة ترتكز على المادة والروح ، والدنيا والآخرة ، جسم ، وروح ، دين ، ودولة ، وحياة ، وغيب وشهادة ، والإسلام عقيدة ، تقدمية لا بوصفه مؤيداً لنظريات الاجتماع الحديثة ، بل لأنه يدفع الإنسان دوما إلى الأمام » .

* * *

إن للفكر الإسلامى منهجا أصيلا لايحتاج فيه إلى تقليد ، وانما نحتاج أن نقارعهم بسلاحهم نفسه ، الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، بالتى هى أحسن ، نحتاج أن نقدم صورة صحيحة عن الإسلام فى معالمه الأساسية ، وخطوطه الكبرى ، ليستطيع أى فرد أن يوازن بينه وبين الأديان الأخرى ، والمذاهب الوافدة ، وأن يحافظ على جميع جوانبه ، دون الدخول فى هذه المزالق المذهبية ، والخلافات الفقهية ، كما أشرت من قبل .

فالفكر الإسلامى هو هذه الحصيلة من الموضوعات التى تخاطب العقل البشرى فيما يمس عالمنا الواقعى الموسوم بعالم الشهادة ، وتدفعه إلى التأمل

والملاحظة والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة ، والعبادة ، والقيم ، والنزعات ، والأخلاقيات فى الإسلام .

وعملية التفكير تنحل إلى وحدات بسيطة — كما يقول علماء النفس ، تقوم الوحدة منها على سؤال يشرق فى الذهن أو مشكلة تعرض للإنسان ، فتستغرق شعوره ، ويتلمس السبل للاهتداء إلى جواب مقنع يرضاه ويسلم به عن اطمئنان نفسى ، واقتناع عقلى ، ويكون هذا الجواب بمثابة ولادة طبيعية لما يجيش فى النفس من مشاعر وخواطر وأحاسيس ، أو بمثابة الثمرة الناضجة إذا طابت تماماً فانها تسقط من الشجرة ، قال ديكارت مخاطبا نفسه : هل أنا موجود ؟ فأجاب : أنا أفكر ، إذن أنا موجود » لأنه بواسطة التفكير يعى ذاته ، ويعى نفسه ، ومن ثم لابد أن يكون هذا الشخص الذى يعى ذاته موجودا ، لأنه لوكان معدوما لما استطاع ذلك .

وهلى هذا الأساس قامت جميع المعارك البشرية ، قامت من سؤال نشب فى الذهن ، وأول معركة فيما نعلم هى معركة أبينا آدم ، فلقد نشب فى ذهن إبليس خاطر ، ألا وهو : كيف يسجد لبشر مخلوق من طين ، وهو مخلوق من نار.

والمعركة الثانية نشبت فى ذهن آدم نفسه ، حين قال الله له هو وزوجه حواء : « لاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، فنشب فى ذهنها سؤال : لماذا لاتقربا هذه الشجرة ؟

ثم يتبع التفكير عادة نوع من السلوك والتطبيق للمناهج الوضعية التى اهتدى اليها العقل ، أو للنظم الإلهية التى جاء بها الرسل ، ونزل بها الوحى ،

---

(١) انظر : اللغة والفكر ، وأسس علم النفس للدكتور عبد العزيز القوصى (ط النهضة المصرية ١٩٥٦) .

وهى تلك المناهج التى رسمها ذلك القلم الأعلى لسلوك الفرد ، وسلوك الجماعة، ليستقيم أمرها ، ولتؤدى رسالة الخلافة فى الأرض« ولايغيرمن صفة النظام الإلهى أن يجتهد البشرفى تفصيل الأحكام الكلية التى نزل بها الوحى ، فىسبيل تطبيقها على النحو الذى يحقق أهدافها فى عصر معين مادام التطبيق فى نطاق التشريع الدينى» .

لذلك كله رأيت أن أقدم هذه الصورة الكاملة عن الفكر الإسلامى، من حيث (مبادئه العقائدية) و(مناهجه السلوكية) و(قيمه الروحية) و(نزعاته الأخلاقية والعلمية) :

١-٧-١٩٧٦ محمد الصادق عفيفى

الباب الأول

العقيـــدة ومبادئها

مظـاهر العقيـدة :

للعقيدة مظهران : مظهر روحى ، ومظهر سلوكى ، وسنعرض ها هنا للمظهر الأول ، فالعقيدة فى مظهرها الروحى تعبر عن الإيمان الذى وقر فى القلب بمبادىء تعد محور ترابط وتواد بين معتنقيها ، وترتكز هذه المبادىء فى الحالات البدائية التى لم تتصل باثارة من علم ولا دليل ، أوقبس من رسول على تصورات توارثتها الأجيال من عاداتها وتقاليدها عبر العصور والأزمان(١) ، حيث يعبدون ما خلق لأجلهم ، ولا يملك لنفسه نفعا ولاضراً ، ولايستطيع مجازاة الطائع ، ولا معاقبة العاصى .

ومن هنا تحمل هذه التصورات طابع القداسة والتسليم المطلق ، كما تحمل طابع الشعبية من ترديد صداها فى نفوس أتباعها ، وليس بصحيح ما ذهب إليه أبوالحسن الندوى من أن هذه الديانات « ليس لها سلطان على أرواح أتباعها ، ولاتأثير لها فى أخلاقهم ومجتمعهم(٢) » .

نعم ، قد تكون الديانات ديانات سطحية من حيث المبادىء والتصورات ولكن الذى لاشك فيه أنه كان لها سلطان على نفوس أتباعها .

وتقوم تلك المبادىء فى حالة بعثات الرسل على أصول وقواعد سماوية ارتضاها الخالق سبحانه لعباده ، وقام الرسل بتبليغها وغرسها فى النفوس ، وهذه العقيدة فى الديانة الإسلامية وغيرها من الديانات السماوية ، تنبثق أساسا من الإقرار القلبى بوحدانية الله ، ويبرز هذا الإقرار فى : (شهادة أن لاإله إلا الله) ، وصدق الله حيث قال : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا..(٣)»

---

(١) انظر : روح الاجتماع : ٨٤ ، وسرتطور الأمم : ٨١ ، والآراء والمعتقدات ، الفصل الأول ، وثلاثتها لجوستاف لوبون ، وقد ترجم الأول والثانى (أحمد فتحى زغلول باشا) وترجم الثالث (محمد عادل زعيتر) .

(٢) انظر : الفكر والدعوة : ٢٥

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

وهذا العهد والميثاق ، أو بمعنى أدق : هذا الإقرار ينبض من حنايا النفس المؤمنة بالأفكار الحية ، والمبادىء السامية ، وقد طبع لها صورة بارزة المعالم ، واضحة الملامح عن المحور اللاى تدور من حوله ، ومن هذه الزاوية تدخل العقيدة فى صراع مع العقائد الأخرى ، بدائية كانت أم راقية ، ومع الأفكار والمذاهب الوضعية .

حريـة العقيـدة :

تعد الشريعة الإسلامية ، الشريعة السماوية الوحيدة التى نادت بحرية العقيدة ، حيث تركت لكل إنسان الحرية الكاملة فى اعتناق ما يشاء من العقائد السماوية ، وأن يقيم شعائرها ، ويدافع عنها ويجهر بها ويعمل لها ، ويدعو غيره للدخول فيها .

وليس لكائن من كان أن ينكر عليه ذلك أويكرهه على ترك عقيدته واعتناقه غيرها ، أو منعه من إقامة شعائرها ، وإذاعتها بين الناس ، وإذا أصاب صاحب عقيدة اضطهاد ، أو أوذى بسببها ، فان الإسلام يطلب إليه أن يهاجر إلى بلد آخر تسود فيه حرية العقيدة ، ويتمتع أفرادها بالجهر من القول دون مواربة أو خوف .

ذلك لأن الإسلام لايرى صحة العقيدة إلا إذا جاءت وليدة تفكير حر ، وثمرة اقناع تام ، ولايعتبر المكره على اعتناق عقيدة ما مؤمنا بها ، مؤاخذا بأحكامها ، وصدق الله حيث قال : « لاإكراه فى الدين »(١) و « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٢).

وقد بلغ الإسلام من الروعة والإجلال ، حين منح غير المسلمين حرية العقيدة ، وتركهم لاعتناق ما يشاءون ، بعد مناقشتهم بالتى هى أحسن ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٩٩

وبيان وجه الحق لهم ، وتأمينهم على أرواحهم وأموالهم وعبادتهم ، وتمكينهم من إقامة شعائرهم على الوجه الذى اختاروه ، وارتضوه لأنفسهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة[1] » ، وقال « من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه ، فأنا حجيجه يوم القيامة[2] » .

وفى هذا المسلك الذى سلكه عمر بن الخطاب عندما عقد معاهدة صلح عام ١٥ هـ مع أهل (إلياء) أروع صور حرية العقيدة فقد أعطاهم فيها حقوق الأمان التى تكفل لهم ممارسة دينهم بكل اطمئنان : « وقد جاء فيه : « هذا ما أعطى عمر ، أهل ايلياء — بيت المقدس — من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولاينتقص منها ولامن غيرها ، ولامن صليبهم ، ولامن شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم » .

وهكذا وسع الإسلام أرباب الديانات الأخرى ومنحهم حرية العقيدة يجهرون بها أنى شاءوا وكيف شاءوا ، فلهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، ممتعين بالأمان على أنفسهم وأموالهم وعبادتهم دون أن يجدوا أية تضييق أو غدر أو اكراه .

عـرض العقيـدة :

وعرض العقيدة فى غير المجالات الدينية المتخصصة ينبغى أن يقتصر على الأسس الرئيسية دون الخوض فى التفصيلات والجزئيات التى تجرنا إلى

---

(١) انظر : سنن أبى داود : ٣٣

(٢) انظر : النسائى : ١٤ ، وابن حنبل : ١٨٦/٢